

والفراشة تحارب

ولا تنتهي رسالتي اليك يا دمشق »

ثم تتداخل الكلمات في الشكل الشعري ،
التشبيه الذي يتركز على الفعل « كأن الاغصان
أصببت بحجرة لا تعني » والصورة التي تنقل من
الوصف الخارجي لتضمنه توترا حادا ، يأتي من
المسافة الظاهرة بين الصورة والانفعال . لذلك
يتوتر النص في هدوئه الموضوعي ، ويأتي الشكل
اللؤلبي ليدور المسافة بين بداية النص ونهايته .
ثم تنتقل الى نصوص تحليلية . لكن التحليل هنا
لا يبهه سوى استجماع مفاصل التجربة الصهيونية
ليقوم بادانتها من داخل . ولعل محمود درويش
هو اهم من كشف تناقضات « المجتمع الاسرائيلي »
الجزرية . فهو لا يتوقف عند التحليل
النوسولوجي ، لكنه يتوقف اساسا عند الحلم
الصهوني وخيبة تحقيقه . يتعامل مع هذا الحلم
من الخارج والداخل . فهو في الخارج ، داخل
المعسكر الذي يحل التناقض المركزي مع اسرائيل ،
وهو في الداخل يبحث عن التناقض الداخلية في
الفكرة الصهيونية وفي الممارسة السياسية
والعسكرية الاسرائيلية . والتناؤل التاريخي الذي
تحمله هذه النصوص ليس تناؤلا قنيا . انه تناؤل
سياسي - تاريخي ، اي واقعي مئة بالمئة . فحين
تكون « هزيمة العدو في ذروة انتصاره » . فان
التناؤل التاريخي البعيد كل البعد عن الخطابية
الجوفاء ، يؤشر الى حقيقة الوعي الثوري الذي
حمله عرب الارض المحتلة عام ٤٨ . فتناؤلهم
التاريخي الذي انتج شعرا استطاعت الايديولوجيا
العربية السائدة استيعابه (لاسباب تكوينية تتعلق
بولادة الشعر في الارض المحتلة والطموح
الايديولوجي الذي عبر عنه - المسألة القومية -
هنا حسب في الايديولوجيا العربية التي كانت تمر
بمرحلة تطور متقدمة تختلف فيها الدلالات عن
الدلالات في الارض المحتلة . لذلك استطاعت
استيعابه شكلا ومضمونا دون ان تستطيع منع
بذوره المستقبلية من التطور) . اثبت اصالتهم -
ليست فقط زمن المعارك في تشرين . بل في مرحلة
« الانتظار العائد » كذلك .

تستطيع الكتابة الساخنة لمامسة الجراح .
لكنها تتوقف عند حدود هذه الملامسة . ورغم ان
درويش يعتمد عن المباشرة ، ومن الكتابة الصحفية

فانه يتعامل مع الموت بحنان بالغ . يكتب مرثية
القصيدة التي سكنت رجلا ، ذلك يغلب الطابع
التأبلي على النص بأسره . وينساب التوتر داخل
هدوء الموت « ذهب الموت الى البحر ، وظل البحر
ازرق . بلغ الموت سن الرشد في كمال ، فصله
وظار . وكان الرخام والمطر ينهران بلا سبب .
صار الموت هو الذي يلعب وبقي كمال ناصر قنيا ،
كما هو » .

عندما احب الحصان الغزالة ، ولد التحدي .
لذلك جاءت نصوص القسم الاول من الكتاب ،
بشارة للحرب ، من خلال الدم الذي لم يتوقف
والالام العظيمة داخل العرس الفلسطيني ، الذي
يحمل داخله مفتاح تناقضات الزمن العربي بأسره .
ومن داخل لغة النثر الصافية كان الشعر يتوالد
انفجارات تحمل خطابية انفعالية ، مقادير على نقل
اللحظة من التأمل الى الفعل ، دون السقوط في
شرك اللغة الجاهزة . ندرويش يعيد اكتشاف
اللغة فيما يبحث عن فلسطين داخل الفجيرة .
هكذا تبقى هذه التاملات جراحا داخل الجرح ،
لانها تتواصل مع الحلم السذي يتجسد داخل
الممارسة النضالية .

اللحظة الساخنة .

القسم الثاني من الكتاب - صباح الخير ايها
الفرح - هو مجموعة من الملاحظات والتأملات التي
كتبت ايام حرب تشرين . لذلك تحمل قلق اللحظة
وتوترها ، وامالها . لكنها لا تتوقف فقط عند
تلوهر المعركة ، بل تنقل الشاعر الدفينة التي
تغلقت في المسام منذ بداية عصر الهزائم المتتالية
والاحلام الكبيرة . نبي تخاطب العالم بلهجة تقترب
من « ميونيخ » لكنها تأتي هذه المرة خالية من الحد
المدور . تحمل الفتنة بالنفس الى جانب الحلم
الكبير . وعندما نصل الى عقدة اليوم السابع في
الحرب ، ترتفع الابتهامة الواثقة الممزوجة
بالدماء « نحن الان في اليوم السابع ، لا نرتاح
من العمل ، ولكننا نرتاح من الهزيمة . اليوم
عطلة الهزيمة » . داخل لحظات النثر هذه هنالك
مكان واسع للشعر . فتأتي « بطاقة الى دمشق »
لتحمل جيب خصائص بنية القصيدة . التسداعي
الذي يستجمع اللحظة الشعرية :

« سامي البريد ينتظر